الانتخاب الطبيعي

الانتخاب الطبيعي هو إحدى نقاط الاستناد التي يستند إليها التطوريون. والانتخاب الطبيعي يعني أن الأحياء التي لا تستطيع مقاومة المصائب الطبيعية المختلفة وكوارثها كالسيول والزلازل تنقرض وتزول من مسرح الحياة، ولا يبقى هناك إلا الأحياء القوية المقاومة للظروف الطبيعية المختلفة.

أنا لا أدري أولاً علاقة هذا الأمر بالتطور، ولا أدري بأي نسبة يمكن أن يكون مرتبطاً به. لأنه لا يوجد أي دليل أو أمارة بأن أي نوع من أنواع الأحياء التي بقيت بعد الكوارث قد غير نوعه. ومع أنه يشار إلى أن أنواعاً معينة من الأحياء قد انقرضت، إلا أن متحجرات هذه الحيوانات المنقرضة لم تظهر للوجود كأنواع جديدة، كما أن الأحياء القوية التي بقيت سالمة بعد الكوارث لم تطفر إلى أنواع أعلى. ثم إنه يوجد داخل كل نوع من الأنواع على الدوام أفراد أقوياء وأفراد ضعفاء، وهما يعيشان معاً جنبًا لجنب. ولله سبحانه وتعالى حكم عديدة ومدهشة ضمن القوانين التي أودعها في حياة الحيوانات عندما جعل بعض الحيوانات ضعيفة، والأخرى قوية في النوع الواحد أو في القطيع الواحد.

إن تغذي بعض الأنواع باللحم يؤدي إلى تشكل سلسلة من الغذاء في الطبيعة، وبهذه الواسطة يستمر التوازن البيئي في الطبيعة بكل كماله. ولو لم يحدث هذا، أي لو لم يكن هناك في قطيع الغزلان أي غزال يستطيع الأسد أو النمر صيده، أو لو كان جميع أفراد نوع ما قوياً، لكانت النتيجة أن يموت

كل أنواع الحيوانات المفترسة التي تتغذى على اللحم، ولتكاثرت الحيوانات الأخرى على حسابها، ولفسد التوازن البيئي من أساسه. لذا فإن مشاهدة مثل هذه الحادثة وكون الحيوانات الضعيفة طعماً لأحياء أخرى هو من أجل بقاء هذه الأحياء.

ويجب هنا التنبيه على ما يأتي: عندما يُقضى على الأفراد الضعفاء في جيل من الأحياء فلا يعني هذا أن الأجيال القادمة ستكون قوية، ففي كل جيل يوجد الضعفاء جنباً إلى جنب مع الأقوياء. وعندما يكون الضعفاء والمتقدمون في السن والذين لا يتكيفون مع القطيع طعماً للحيوانات المفترسة فإن حياة القطيع تستمر.

انطلاقاً من هذا يقترف التطوريون والذين يؤلهون الطبيعة جناية كبرى عندما يأخذون مثالاً واحداً أو حادثة واحدة ويجعلونها شاملة لجميع حياة الأحياء فيصورون الحياة وكأنها عبارة عن صراع وعراك. فهم يعدون أن الغاية الوحيدة من الحياة هي محاولة الأحياء الاستمرار في الحياة، والحصول على الغذاء من أجل تحقيق هذه الغاية. وعندما يقوم التطوريون والماديون وعبّاد الطبيعة بتقويم حياة الإنسان أيضاً على نفس النحو فهم يقدمون ذريعة للأقوياء للبقاء على حساب الضعفاء، ويرون في هذا حقاً طبيعياً لهم، كما يقدمون الحياة وكأن الغاية الأساسية منها هي الأكل والشرب والتناسل. وهذا يؤدي إلى قطع التعاون بين الناس وبين الأمم والشعوب، ويجعل استغلال الإنسان شيئاً مشروعاً ولا غبار عليه، فينزعون عن الإنسان جميع قيمه السامية، وينزلون به إلى درك الحيوان بل أسفل منه وأضل.

بينما الصراع شيء ثانوي في الحياة وفرعي. والأصل هو التعاون، فأعضاء جسم الكائن الحي في تعاون مستمر فيما بينها. وتتعاون الشمس بضيائها وحرارتها مع الهواء والماء والتربة لإنتاج الأثمار للإنسان أو للحيوان حسب أجناسها وأصنافها. أي أن عناصر الكون كلها تتعاون في إنبات

النباتات على الرغم منها للحيوانات وللإنسان، وتسخر الحيوان من أجل الإنسان، كما يقوم الإنسان -إن كان على وعي بوظيفته في الأرض كخليفة- بنجدة النبات والحيوان، ويقدم جهوده من أجل الحفاظ عليهما.

وبينما يقوم الحيوان والنبات -ضمن جوقة التعاون الرائع الموجود في الكون- بالطاعة الجبرية للقوانين الإلهية الموضوعة (لأن هذه الطاعة جزء لا يتجزأ من فطرتهما) نرى أن الإنسان الذي جُهز وشُرّف بالإرادة يشترك في كادر وفي نظام هذا التعاون بإرادته. وانطلاقاً من هذا تقع عليه وظيفة القيام بتحويل هذه الأرض إلى ساحة للتعاون والأخوة، وليس إلى ساحة صراع وحرب. ولكن التطوريين يتناولون هذه المسألة بشكل معاكس، لذا لا يمكن القول أنهم لا يتحملون أي مسؤولية عن الانقلابات وعن الصراعات والحروب التي حدثت في العصرين الأخيرين التي كانت بمثابة كوارث دولية وفواجع عظيمة.

وينظر التطوريون إلى هذه الكوارث وإلى أمثالها من الاستعمار الدولي، وتجارة الرقيق والتمييز العنصري، وسيادة القوة على الحق وكأنها "المسيرة الطبيعية" للتاريخ. وبهذا يعطون الحق والشرعية لها بوجه من الوجوه. لذا نرى أن كارل ماركس مؤسس الشيوعية الذي وضع نظريته في التاريخ على هذا الأساس[1] يدين بالشيء الكثير لدارون.

لذا فليس من الغريب أن يكون الشيوعيون من أكثر الماديين ارتباطا بنظرية التطور ودفاعا عنها. لأن نظرية التطور من الأسس التي يستند إليها الإلحاد. وفي الحقيقة فإن جميع هذه العوامل هي الأسباب الكامنة وراء الإصرار للإبقاء على نظرية التطور واقفة على قدميها في دنيا العلم، حيث قلبت هذه النظرية إلى عقيدة وإلى أيدولوجية مقدسة. وكم هو غريب ومتناقض أن نرى هؤلاء

---

(١) كما هو معلوم فإن النظرية الماركسية للتاريخ تقوم على صراع الطبقات، وهو ما يقابل الصراع من أجل البقاء في نظرية التطور. (المترجم)

وهم يزعمون أنهم أبطال الحرية والمدافعون عن حقوق الإنسان، وحقوق المضطهدين والمسحوقين.

وعلى الرغم من زعم التطوريين حول الانتخاب الطبيعي، فإن الكوارث الطبيعية التي لا قبل لأحد في مواجهتها كالسيول والزلازل وما يتبعها من خراب وانهدام لا تقضي على الأفراد الضعفاء من الأحياء فقط، بل تقضي حتى على أقوى الأقوياء منها. فمثلاً نرى أن موجة بحرية عاتية تضرب الآلاف من الأحياء الضعيفة منها والقوية بالصخور وتقضي عليها، أو تسحبها إلى البحر وتغرقها.

ثم إنه على الرغم من هذا الادعاء فإننا نرى في كل عهد من عهود التاريخ، وفي كل سنة وموسم ويوم إن أضعف الأحياء يعيش -ضمن القوانين الإلهية الموضوعة في الطبيعة- مع أقوى الأحياء جنباً إلى جنب. فنرى الحوت وهو يعيش مع أصغر الأسماك ومع سمك القرش، ونرى في الجو النسر مع اللقلق ومع العصفور والحمام، وفي البر نرى النمل والأرانب والأسود والفهود، والغزلان، والوشق تعيش معاً، حيث نرى أن التوازن البيئي والطبيعي مستمر بدرجة الكمال منذ ملايين السنين دون أن يصيبه أي خلل. بل إن الأغنام والحمام والغزلان وغيرها من الحيوانات الضعيفة غير آكلة اللحوم وغير المفترسة تتكاثر بصورة أقل من غيرها، وتضع مولوداً واحداً أو مولودين فقط في السنة، ومع ذلك نراها أكثر عدداً في كل مكان من الحيوانات المفترسة التي تتكاثر أكثر منها.

إذن فليست هناك عملية إبادة، بل هناك عملية خدمة الحياة، حيث إن الأحياء التي لا تعد ولا تحصى من النباتات والحيوانات التي لا تعقل ما تفعله، تقوم بحياتها ووجودها بتقديم خدمة جليلة، لتحقيق أهداف علوية، وهي بأعمالها هذه تسبح الله تعالى وتحمده. لذا فلا يمكن البحث عن الانتخاب الطبيعي بالمقياس الذي يدّعي التطوريون وجوده في الطبيعة، وليس هو

بالقانون الطبيعي الذي لا يمكن رده أو الوقوف في وجهه في الحياة الاجتماعية للإنسان والأمم، ولا هو ظاهرة اجتماعية سائدة.

إن أعداد الأحياء الضعيفة بدءاً من الأحياء المجهرية إلى النمل والنحل، إلى غزلان الصحاري، إلى أسماك البحار أكثر من أعداد الأحياء القوية جداً أضعافاً مضاعفة. وإن استمرار انبثاق الحياة حتى في الأجواء القاتلة سواء عند الإنسان أو عند الحيوانات المفترسة، وكذلك قيام الحيوانات الضعيفة جداً والتي تمتلك أجساداً رقيقة وغير قوية بالحفاظ على أنفسها بطرقها الخاصة بها... كل هذا أدى إلى الحفاظ على التوازن البيئي من الأمس حتى اليوم. وكل هذه مسائل قررها العلم ولاحظها، وتعد ضربات قوية على رأس الانتخاب الطبيعي.

ثم إن علم المتحجرات (البالانتولوجيا) يقرر -بنقيض نظرية التطور- أن الأحياء البدائية كالأحياء وحيدة الخلية عاشت مع الأحياء المعقدة التركيب كالضفادع والزواحف والثدييات.

فمثلاً زعم التطوريون أن Neoplina عاش قبل ٣٠٠-٤٠٠ مليون سنة وأنه انقرض بسبب الانتخاب الطبيعي، وأن Coelacant عاش قبل سبعين مليون سنة ثم انقرض، وأن Crinoid عاش قبل ٥٦٥ مليون سنة ثم انقرض، وأن Limulus عاش قبل ٢٢٥ مليون سنة ثم انقرض، وأن Gunt Flint عاش قبل مليوني سنة ثم انقرض. ومن الممكن طبعاً عدّ المئات من هذه الأحياء التي زعم التطوريون أنها انقرضت قبل ملايين السنين. ولكن تبين أنها جميعا تعيش حالياً وأنها تشبه أجدادها تمام الشبه دون أي تغيير. لذا فهي شواهد على أن نظرية التطور لا تملك أي مصداقية لا في الأرض ولا في السماء.

والخلاصة أن الانتخاب الطبيعي -مثله في ذلك مثل ظاهرة التكيف- الذي كثيراً ما يُستند إليه من قبل التطوريين ليس إلا فرضية ضعيفة، وواهنة،

ولا أساس لها من الصحة. فالمشاهدات العلمية لا ترينا -كما يظن الفكر التطوري- قيام البيئة أو الظروف المناخية برمي الأحياء الضعيفة خارج النوع، ولا قيام الأحياء القوية بامتلاك حق الحياة وإبادة الضعفاء. لذا فالأصوات المنعكسة في سماء الوجود ليست عبارة عن جلجلة أصوات الأقوياء، وأنين أصوات الضعفاء وهي تموت. ومع أننا يمكننا العثور على أمثلة من هذا القبيل في التاريخ الإنساني من حين لآخر، إلا أنه عندما يسود الحق نرى ظواهر الرحمة والشفقة من الأغنياء نحو الفقراء والضعفاء، ونرى الشكر من الفقراء للأغنياء. هكذا كان ديدن التاريخ حتى يومنا الحالي.

المادية ومزاعم المصادفة والظهور التلقائي

نجد في أساس نظرية التطور مزاعم الظهور التلقائي للوجود نتيجة المصادفات. كان لامارك -الذي يعد أبو نظرية التطور قبل دارون- يسند التطور إلى الله. وكان يرى في التطور قابلية أعطاها الله تعالى للأشياء وللطبيعة. لذا كان من أنصار التطور الخلاق. بينما نرى في المقابل أن دارون أسند أساس الوجود إلى المادة وإلى الذرات وإلى الروح الخلاقة الموجودة فيها. لذا يعد دارون -بوجه من الوجوه- من أنصار "وحدة الوجود". أما الذين جاءوا من بعده فقد ربطوا الوجود كله تماماً بالمادة، فانحرفوا إلى المادية وإلى الإلحاد بشكل كلي، واختاروا استعمال نظرية التطور كسلاح وكواسطة لإنكار الله.

والذين يناصرون نظرية التطور اليوم في عالمنا هم الملحدون من أصحاب الفلسفة المادية. فهؤلاء يؤمنون بأزلية المادة. ولكم أن تتصوروا مقدار هذا الجهل المعلن باسم العلم عندما ترى بأن هذا الوجود الذي يستلزم علماً لانهائياً وقدرة وإرادة وحياة لاينسب الى صاحب هذا العلم اللانهائي والقدرة والإرادة والحياة بل ينسب إلى المادة الخالية من الحياة ومن الشعور ومن العلم والقدرة والقوة، والتي لم يتفق العلماء بعد على تعريفها ولا على ماهيتها، والتي تتحول في يد الإنسان من شكل إلى شكل، وأعطوا لهذه المادة العاجزة موقع الخالق.

وأنا عاجز عن وصف الألم الذي أحسه عندما أفكر بخالقي ومعبودي -

الذي أرتبط به بكل روحي وكياني- فأجدهم يقرنونه بالمادة، علماً بأن العلم وكرامته والفكر الموضوعي لا يوجب هذا مطلقاً. لأن إسباغ صفة الأزلية والخلق إلى المادة -حاشا لله- يعني التزام الطرف المعارض والمخالف، وهذا لا يليق بالفكر العلمي والموضوعي. ثم إن إنكار الله تعالى -حاشا ألف ألف مرة- وقبول عدم وجوده يكون قبولاً للنفي، واثبات هذا يرجع إلى الشخص النافي. بينما لا يمكن إثبات النفي.

لذا لا يمكن مطلقاً إنكار وجود الله تعالى، ويبقى هذا زعماً دون أي دليل. وفي مقابل عدم وجود أي دليل ينفي وجوده تعالى، هناك أدلة لا تعد ولا تحصى على وجوده. ولا يمكن عدم رؤية هذه الأدلة إلا إن قام الشخص بإنكار وجود نفسه وإنكار وجود الكون كما فعل السوفسطائيون. وهذا وهم واضح يوجب التخلي عن العقل وعن الحياة ومغالطة بينة ولا شيء غيرهما. إن مجرد ادعاء هذا الوهم والدفاع عنه والتزامه يكفي برهاناً على الوجود.

ولكن على الرغم من كل هذه الحقائق الجلية نجد أن العديد من الناس فقدوا إيمانهم أو ساورتهم الشكوك حول الكثير من الحقائق التي كانوا يؤمنون بها. ونظراً لاستخدام نظرية التطور في هذه السبيل ولهذا الغرض رأينا في سبيل ردّ نظرية التطور ونقضها إثبات أن المادة ليست أزلية وليست خالقة. ولكي نقوم بهذا كان علينا أن نتناول باختصار الزعم القائل أن الوجود بأكمله يستند إلى المادة، وهو أجهل زعم طوال ما عرفه التاريخ من مزاعم.

نود أولاً أن نذكّر بأن التطوريين -سواء شعروا بهذا أم لم يشعروا- يتوهمون مكاناً لانهائياً. لأن إسباغ صفة الأزلية على المادة، وسحب بداية التطور إلى زمن غير معلوم ضمن هذه الأزلية، يعني إسباغ صفة الأزلية على المكان، لأنه لا يمكن التحدث عن الزمان وعن المكان بشكل منفصل، لارتباط أحدهما بالآخر.

إن الزمن يملك وجوداً اعتبارياً (اسمياً)، والمكان هو الذي يجعل الزمان بعداً للأشياء وللحوادث. بدون المكان لا يكون للزمان وجود. أما ما نطلق عليه اسم المكان فهو عبارة عن عالم المادة، أي عالم الذرات. لذا فعندما تتم البرهنة على عدم أزلية المادة، يظهر أمامنا عدم أزلية المكان والزمان. وأي شيء لا يملك صفة الأزلية لا يمكن أن يكون خالقاً ولا أن يظهر للوجود بنفسه تلقائياً.

ثم إن القانون الثاني للديناميكية الحرارية (الثرموديناميك Thermodynemic) الذي أصبح معروفاً من قبل الكثيرين ينفي أزلية المادة. إن القانون الأوّل للديناميكية الحرارية هو حول حفظ الطاقة. أما القانون الثاني فهو قانون كارنوت المشهور. وحسب هذا القانون فإن الجسم الحار يبعث الحرارة حواليه حتى يأتي يوم تنتهي فيه هذه الحرارة.

كما أن مصادر الضوء والطاقة تبعث الضوء والطاقة حواليها حتى يأتي يوم تتساوى فيه الطاقة في جميع أرجاء الكون، فيقف انتقال الطاقة. وهذا وإن كان لا يعني فناء الطاقة، إلا أنه يعني الموت ويعني زوال الزيادة والنقصان في الكون. وضع كارنوت هذا القانون نتيجة مشاهداته وتجاربه عندما كان يغلي الماء في بيته، وعندما كان يلاحظ حرارة مدفأته. ثم تم توسيع تجاربه هذه وربطها من قبل كبار العلماء بنظام معين، ويتم اليوم تدريس وتعليم هذا القانون باسمه.

لا يمكن اليوم ذكر شيء أكيد حول تأثير الديناميكية الحرارية الكلي في الكون. ولكن يمكن القول بأن الكون ليس كتلة واحدة صلدة، بل يتألف من أجزاء. وما يجري على جزء منه يجري على الكل فيه. وقد دلّت التجارب والمشاهدات في هذا الميدان بأنه إن لم تقم القيامة قبله بسبب من الأسباب، فإن القيامة الناتجة عن قانون الثرموديناميك (الديناميكية الحرارية)

ستقع حتماً، أي ستنفد الطاقة في الكون وينهار النظام System فيه.[1] وقد يتساءل البعض عن العلاقة الموجودة بين عدم أزلية المادة وبين هذه القيامة الثرموديناميكية، أو ما الطعنة التي توجهها هذه العلاقة إلى أزلية المادة والزمن؟

لنبين أولاً بأن الظاهر هو أن الذين يقولون بأزلية المادة لا يعرفون معنى الأزلية. فلو وضعت أصفاراً بعدد رمال جميع الصحارى في الأرض أمام الرقم واحد، لعدّ هذا الرقم الهائل صفراً بالنسبة للأزل. وكذلك الأمر بالنسبة لأكبر عدد يمكن أن يتفتق عنه ذهن الإنسان أو يستطيع التفكير فيه أو تخيله فهو أيضاً يعد صفراً بالنسبة لمفهوم الأزل. لأن الأزل يعني اللانهاية. والشيء الأزلي يتصف بما يأتي:

لا يكون مركباً، ولا يتركب. بل يكون بسيطاً وغير قابل للتجزئة. لا يتغير ابداً، ولا يمكن التدخل فيه. يكون خارج الزمان والمكان، أي يكون خارج كل حركة متعلقة بالزمان والمكان. يكون أبدياً، لأنه في جميع الأحوال خارج الزمان. ولكون الأزل والأبد خارجَي الزمان، فهما يلتقيان في نقطة واحدة بوجه من الوجوه. ولا توجد أي خاصية من هذه الخواص في المادة. فالمادة متغيرة، ولا يمكن تصورها خارج نطاق الطاقة حسب ما يقرره قانون الديناميكية الحرارية (الثيرموديناميك). كما أنها صالحة لكل نوع من أنواع التراكيب. ثم إنها موجودة تحت قيد الزمان والمكان.

وفي مقابل هذا نرى أن علماء الكلام يقولون في حق الله تعالى: (ما ثُبت قِدمُه امتنع عَدَمُه)، وهذا يشير إلى أن المادة لا يمكن أن تكون منشأً للوجود، كما يشير إلى صفات الذات العلوية التي يجب إسناد الوجود إليها.

---

(١) يقول العلماء إن هذا القانون يشير إلى أن الحرارة تنتقل من الجسم الحار إلى الجسم البارد، وأن هذا الانتقال يستمر حتى تتساوى درجة الحرارة بين الجسمين. فإن طبقنا هذا القانون على الكون نرى أن النجوم ستستمر في نشر الضوء والحرارة حتى تتساوى الحرارة في أرجاء الكون، مما يؤدي إلى توقف انتقال الحرارة والطاقة. وهذا يعني موت الكون حرارياً. (المترجم)

يتألف المكان بالمقياس الصغير من الذرات، وبالمقياس الكبير من النجوم. وفي شمسنا -التي هي نجم من هذه النجوم- يتحول ٥٦٤ مليون طن من الهيدروجين إلى هيليوم في كل ثانية، وهكذا تنشر حواليها طاقة كبيرة بشكل ضوء وملايين السعرات من الحرارة. ويصل جزء من هذه الطاقة إلى الأرض وإلى جميع المنظومة الشمسية. ويتألف الكون من أمثال هذه الشموس. وفي يوم من الأيام ستنفجر شمسنا بقوة لامركزية انفجاراً مرعباً جداً عندما ينفد وقودها، تعقبه حركة انكماش مركزية وتقلص. أي لا تستطيع بعده مد أسباب الحياة للأرض، أي ستكون القيامة قد قامت.

وبما أن الكون يتالف من أمثال هذه الشموس كلبنات أساسية له، فلا يمكن تصور أزلية هذه الشموس التي تتجه الطاقة فيها إلى النفاد. لأن الشيء الأزلي -كما ذكرنا سابقاً- لا يكون مركباً، لأنه لا يدخل تحت دائرة الزمان والمكان، لذا لا يتعرض إلى النقصان وإلى النفاد، ولا يحصل عنده أي تغير مهما كان ضئيلاً.

بينما نرى أن المادة والعالم المادي في تغير مستمر، وفي تغير دائم من حال إلى حال، ويتعرض إلى الانحلال والتفكك ثم التكون من جديد، أو تكون هي سبباً في التفكيك والتغيير. لذا فهناك بداية للمادة ونهاية لها، وهي محكومة بقيود الزمان والمكان. وكل ادّعاء خارج هذا يعدّ ادعاء وفرضية لا نصيب لها من الصحة. ويعترف دارون نفسه بعجزه في هذا الموضوع وضعفه فيقول: (نظراً لأنني لم أكن موجوداً في العهود التي عاشت فيها هذه الأحياء شعرت بضرورة تقوية هذه المسألة ببعض الفرضيات).

والفرضيات، وإن كانت تستند إلى بعض المعلومات الأولية تعني آراء ووجهات نظر لم تتم تجربتها. فكما قدم دارون فرضيته هذه يمكن لي أن أقدم فرضية بأن إنساناً استطاع -بفضل حركة أرضية ما- أن يقفز عشرة آلاف متر ولم يحدث له شيء. فهذه أيضاً فرضية، فإن اعترضت عليّ وقلت

بأن الإنسان الذي يقفز عشرة آلاف متر سيموت من قلة الأوكسجين قمت بتقوية فرضيتي فأقول: "أنتم تتحدثون عن الشروط الحالية، ولكن الشروط كانت مختلفة في عهد من عهود الأرض، لذا تيسر وقوع هذا الأمر". فإن كانت فرضيتي هذه غير علمية ومجرد زعم فلا يوجد هناك فرق في هذا الصدد في ادعاءات نظرية دارون أو في الداروينية. إن التطور فرضية تقوم بتكذيب جميع القوانين السارية الأخرى في الكون وفي الحياة، وتقوم بملء جميع الثغرات والفجوات الموجودة فيها بفرضيات أخرى. لذا فلا تحمل قيمة أخرى خارج هذا النطاق.

هل المصادفة ممكنة؟

وهل تستطيع تفسير الوجود؟

إن الذين يحاولون إظهار نظرية التطور وكأنها حقيقة علمية ويحاولون إبقاءها واقفة على قدميها يستندون إلى تجربة ميللر ويذكرون بأن الظروف التي كانت سائدة في الأرض في عهد من العهود السابقة أدّت إلى تراكم البروتينات في البحار، وأنه نتيجة للتفاعلات الكيميائية التي حدثت ظهرت الأحماض الأمينية. وقد حدثت كل هذه الأمور تلقائياً كما يزعمون.

ولكن العالم الروسي أوبرن اعترف بعد عشرين سنة من المحاولات في المختبرات الكيميائية الحديثة لصنع خلية حية قائلاً: (من المستحيل صنع خلية حية من المواد الكيميائية حتى في أرقى المختبرات الكيميائية وأكملها). ولكن التطوريين لا يعيرون اهتماماً لهذا الاعتراف. بينما نعلم بأن العمر الحالي للأرض لا يكفي لصنع حامض أميني واحد، بل حتى جزيئة بروتين واحدة عن طريق المصادفة العشوائية، بل يحتاج إلى أضعاف أضعاف هذا العمر.

فإذا لم يكن العمر الحالي للأرض كافياً لتشكيل حامض أميني واحد ولا لتشكيل جزيئة بروتين واحدة عن طريق المصادفة فكيف تيسر إذن ظهور الخلية الحية؟ وكيف كان عمر الأرض كافيا لهذا؟

إن وجود الحياة على سطح الأرض مرتبط بتوازنات عديدة وشروط دقيقة. أولاً يجب توفر جميع الشروط اللازمة للحياة في سطح الأرض، فنحن

نعيش على كرة أرضية تبعد عن الشمس ١٤٩,٥ مليون كم. وحتى هذه المسافة لا يمكن أن تكون نتيجة مصادفة أبداً. ومحور الأرض يميل بمقدار ٢٣,٥ درجة. ومقدار الميل هذا -الذي يشكل أهم عامل في تشكيل الفصول- لا يمكن أبداً أن يكون نتيجة مصادفة. كما أن الغلاف الجوي المحيط بكرتنا الأرضية يتألف من ٢١ % من الأوكسجين من مجموع الغازات المكونة لهذا الغلاف، ولا يمكن تفسير وجود هذه النسبة المثالية بالمصادفة أيضاً.

ونحن نعرف من حسابات الاحتمالات أنه إن رمى شخص أعمى إبرة على الأرض فإن احتمال أن تدخل الإبرة الثانية التي سيرميها في ثقب الإبرة الأولى يبلغ ١%. ولكن علم الرياضيات لم يكتشف بعد نسبة الاحتمال في أن تدخل ١٠٠٠ إبرة مرمية على الأرض الواحدة منها في ثقب السابقة بالتتابع. بينما نسبة الاحتمال في بلوغ الكون والكرة الأرضية وضعهما الحالي عن طريق المصادفات أقل بكثير من الاحتمال السابق. إن إعطاء أي احتمال لهذا الأمر ليس فقط يعد خارجاً عن السلوك العلمي فحسب، بل إن القول بهذا الاحتمال ينقض العقل السليم ويعاديه. يقول "جيمس جينز" حول هذا الموضوع:

(لكي تأخذ الأرض وضعها الحالي عن طريق المصادفات فعليك أن تأخذ جميع رمال الكرة الأرضية في يدك ثم تنثرها. إن احتمال أن تكون ذرة من هذه الرمال الشمس، والأخرى الأرض والأخريات الأشياء الموجودة على الأرض كل منها في موضعها الصحيح، هي نفس نسبة الاحتمال في أن تصل الأرض إلى وضعها الحالي عن طريق المصادفات).

ولا ينتهي موضوع ظهور الحياة على الأرض، ووصولها إلى وضعها الحالي، بكون الأرض على بعد ١٤٩,٥ مليون كم من الشمس. فهناك مسألة كثافة الغلاف الجوي، وتصفيته للإشعاعات الشمسية والكونية،

ومسألة إحراقه للشهب والنيازك، ومسألة سمك القشرة الأرضية زيادة ونقصاناً من ناحية ابتلاعها الغازات[1] ومسألة امتصاص البحار للغازات السامة مسائل أخرى.

وكذلك وجود التعاون بين النباتات والحيوانات، فالنباتات تطلق ثاني أكسيد الكربون في الليل، وتستهلكه في النهار. كما أن هناك القيام بعملية التمثيل الضوئي الضروري للأثمار، ووجود برنامج في بذرة التفاح يساعد على تحول هذه البذرة إلى تفاح وإلى نمو البذرة وتحولها إلى شجرة، وإلى ظهور الأوراق وتفتح البراعم عن الزهور مكوناً الثمرة. وإلى جانب هذا نرى وجود تعاون كامل بين هذه البذرة وبين الشمس والماء والهواء.

والخلاصة أن الكرة الأرضية والحياة الموجودة عليها تتطلب آلية مذهلة وعلماً وإرادة وشعوراً وقدرة بحيث يستحيل هذا على المصادفات العشوائية، وعلى المادة الصماء والعمياء والخالية من الحياة ومن الشعور ومن العلم. إن إسناد هذا الأمر إلى المصادفة أو إلى المادة أو إلى أي كائنات أخرى يعد إنكاراً للعقل وللإنصاف وابتعاداً عنهما.

وكمثال آخر: لندخل إلى صيدلية أو إلى مصنع للأدوية طلباً لدواء معين. نجد أن جميع الأدوية -ومنها الدواء المطلوب من قبلنا- موجودة على الأرفف، وأن جميع المواد اللازمة لهذه الأدوية موجودة داخل القناني. فهل هناك عاقل يتصور أن في الإمكان أن تهب ريح فتسيل هذه المواد وتكون الأدوية المطلوبة بالمقادير الدقيقة المطلوبة لكل دواء؟ أو أن يحدث هذا باي تاثير خارجي أو من قبل هذه المواد نفسها؟ علما بأن المواد المطلوبة موجودة في مثالنا هذا ومتوفرة وموضوعة داخل القناني. وبما أن المواد موجودة فما على المصادفة سوى معرفة الدواء المطلوب من قبلنا، أو فهمها لكلامنا

(١) يشير المؤلف إلى أن سمك قشرة الأرض سمك مناسب جداً فلو زاد سمك القشرة الأرضية عن الموجود حالياً لامتصّت نسبة كبيرة من الاكسجين مما يحول دون ظهور الحياة على الأرض. ولو قل هذا السمك لزادت نسبة الزلازل وشدتها. (المترجم)

ولطلبنا، ثم القيام بإسقاط هذه القناني وسكب المواد الموجودة فيها وجمعها بالمقادير الصحيحة لتكوين الدواء المطلوب.

بينما إن نسبنا الوجود إلى المصادفات، أو قلنا إنه تشكل من نفسه، أو أسندناه إلى الطبيعة أو إلى المادة، فإنه لكي يتكون هذا الدواء من مختلف المواد من نفسه، يجب على المواد العديدة المكونة له أن تظهر إما تلقائياً أو من قبل الطبيعة أو بتوجيه من المادة. وعلاوة على هذا يجب وجود إنسان - أي صاحب حياة وشعور وعلم وإرادة وقوة- يقوم بوضع هذه المواد في القناني ويرتبها فوق الرفوف، ويصنع المصانع. ويجب أن يظهر هذا الإنسان من قبل الطبيعة أو المادة أو المصادفات أو يظهر تلقائياً إلى مسرح الحياة.

ونتساءل: أي صاحب عقل يمكن أن يقبل إمكانية حدوث كل هذه الأمور؟ ولكن كم من المؤسف أن نرى أن الذين يسندون الوجود إلى التطور أو إلى الطبيعة أو إلى المصادفات يؤمنون بمثل هذه الخرافات في سبيل شيء واحد وهو إنكار وجود الله.

قد يرد الاعتراض الآتي: إن العلم لا يستند إلى العقيدة أو الإيمان، بل يستند إلى المعطيات الموضوعية لكي يهيء المستقبل وينتج التكنولوجيا. ونحن نقول: حسناً!.. إن الوجود يوجب بشكل واضح وجوب وجود شعور وإرادة وتخطيط وعلم وعناية وقدرة. وكل هذا يشير إلى أدلّة لا حصر على وجود الله تعالى، لذا فأي كسب نكسبه للعلم إن ربطنا منشأ الوجود بالمادة أو بالطبيعة أو بالمصادفة أو بالظهور التلقائي أو بغيرها من الخرافات؟ واي خسارة للعلم إن قبلنا بحقيقة وجود الله، ثم استمررنا بجهودنا العلمية؟

وفي الحقيقة فإن ذرة واحدة، وخلية واحدة فقط -دعك من الكون كله- تكفي دليلاً على وجود الله تعالى المتصف بالقدرة المطلقة وبالإرادة وبالعلم اللانهائي. لأن أجزاء الكون متداخلة بعضها ببعض -مثل جسم الإنسان- تداخلاً كبيراً وتعرض أمام الأنظار وحدة متكاملة تمام التكامل،

بحيث إن من لا يستطيع خلق الكون لا يستطيع خلق ذرة واحدة. والعلماء الحقيقيون يرون هذا ويعترفون به. وقد سرد إنعام الله -وهو شخص باكستاني- إحدى ذكرياته مع العالم سير جيمس جينز الذي أقدره كثيرا فقال:

(كنت في أمريكا، وكنت كثيراً ما ألتقي مع سير جيمس جينز. وفي أحد الأيام كنت في الشارع فإذا بالمطر يهطل غزيراً، ورأيت الأستاذ جيمس يهرع نحو الكنيسة وشمسيته مطوية في إبطه. توجهت حالاً نحوه بصمت، وقلت: "يا أستاذي!... الظاهر أنكم مشغولون ذهنياً، لأن المطر يهطل وشمسيتك تحت إبطك". رجع إلى نفسه وكأنه أفاق من نوم. كان بصره شاخصاً وكأنه يرمي ببصره إلى أفق بعيد... كانت نظرته عميقة. وعلى إثر كلامي فتح شمسيته. سرنا معاً. وعندما علمت أنه ذاهب إلى الكنيسة قلت له: "كيف تذهب إلى الكنيسة مع أن الكثيرين كلما توغلوا في العلم ابتعدوا عن الكنيسة."

كان مشحوناً جداً، وزاد كلامي من ضرام أحاسيسه. لم يجبني على سؤالي، ولكنه قال: "يا إنعام الله! تعال غداً إلى بيتي لتشرب معي الشاي ونتحدث".

في اليوم الثاني توجهت إلى بيته وضغطت على جرس الباب، قابلني صبي نوراني الوجه وأخبرني بأن والده هيأ الشاي في غرفته وهو ينتظرني. عندما دخلت عالمه الداخلي ذرفت عيناي دموع شفقة كانت قد تجمعت كسحاب تنتظر باعثاً أو عذراً للانهمار... جلست بجانبه، وبدأ يتحدث.

تحدث عن خلق الأرض وكيف جُعلت صالحة للحياة. كان عندما يتحدث عن الإجراءات الإلهية ينفعل ويكاد يغيب عن نفسه. تحدث عن الغيوم السديمية، وكيف أنها تطيع إرادة معينة في هذا الكون الواسع، وتحدث عن توسع المكان، وتحدث عن الإجراءات الإلهية في جميع هذه الأمور. كان

يتحدث أحياناً عن حقائق العالم الكبير (الكون)، وأحيانا عن العالم الصغير (الذرة) وكأنه يفسر قوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣). وبلغ منه التأثر حيناً مبلغاً كبيراً فقال: "يا إنعام الله! إنني مندهش: كيف يتسنى للإنسان أن يطلع على هذا الكون الواسع الشاسع ويلم بقوانينه ثم لا يؤمن بالله؟!. إنني مندهش". كانت اللحظة المناسبة قد حانت تماماً، فقلت له: يا استاذي أتسمح لي؟ قال: تفضل. قلت: "هناك آية في القرآن، يرد فيها قول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨). عند ذلك بلغ منه التأثر غايته، وقال: "أهذا هو ما يقوله محمد؟ إن كان هذا هو ما يقوله فاشهد يا إنعام الله أنه رسول الله".

أرجو أن تتفكروا لحظة! هذا الإنسان الذي هو أشرف المخلوقات وأعقلها وأكثرها قابلية وذكاء بينما لا يستطيع أن يرسم مربعاً مساوياً تماماً لمربع سبق وإن رسمه، بل لا يستطيع حتى رسم خط مستقيم مساو تماماً -دون استعمال آلة قياس- لخط سبق وإن رسمه... كيف يستطيع هذا الإنسان أن يدعي بوجود أي احتمال لظهور سلاسل الأحماض الأمينية، أو جزيئة من جزيئات البروتين أو خلية من الخلايا، أو عضو من الأعضاء، أو كائن حي أو عضو في الجسم تلقائياً أو نتيجة المصادفات ضمن هذا التعقيد الشديد والمتداخل للأحياء؟! ثم كيف يمكن بعد هذا الادعاء -وسط كل هذه الاستحالات المتداخلة بعضها مع البعض الآخر- بأن سلسلة من الأحماض الأمينية أو أي كائن صغير تخيلنا ظهوره يمكن أن يتطور إلى أحياء معقدة ضمن بوتقة التطور؟!

إن أكثر المتفائلين في هذا الموضوع يرون -من زاوية الزمن- أن عمر الأرض لا يكفي لظهور سلسلة من الأحماض الأمينية. فمن حق الإنسان أن

يتساءل اذن: هل تم التطور في العالم الآخر، وأنه بعد أن نضج واكتمل جاء إلى أرضنا وأعطى ثمرته؟ فإن لم يكن هذا هو ما حصل فكيف اكتسب هذا الوجود الرائع جماله الأخاذ وروعته وفخامته ودقته تاركاً وراءه الفوضى والاضطراب ومتجاوزاً له؟ وكيف استطاعت الحياة تسجيل هذا النجاح والوصول إلى مثل هذا الوجود الرائع على الرغم من وجود قانون الانتروبيا؟ وكيف ظهرت هذه الملايين من أنواع الأحياء تلقائياً إلى الوجود؟ وكيف استطاعت الأشياء تحدي القانون الثاني من الديناميكا الحرارية الذي يمنع اتجاه الأشياء من الفوضى إلى النظام، ومن البساطة إلى التعقيد وإلى الروعة الفنية؟

وهل نستطيع الإجابة على كل هذه الأسئلة إجابات متمشية مع روح العلم؟ أم نتهرب من الإجابة ونقول مثلما يقول بعضهم: "لقد حصل التطور وإن كنا لا نعرف كيف حصل، ولا حاجة هناك إلى إثبات هذا الأمر"؟! وأنا أريد أن أسألكم: هل نستطيع إذن أن نتجاوز شواهق وذرى الفن البادية في كل مخلوق من المخلوقات ببالونات المصادفة؟!

إن وجود الشفرات في أجساد الكائنات الحية اعتباراً من أصغرها إلى أكبرها منذ البداية، ووجود تخطيط رائع ومدهش في جزيئات D.N.A و RNA هذا التخطيط الذي يوجه وظائف الكائن الحي اعتباراً من أصغر وحدة في الكائن الحي وأبسطها إلى أعقدها، والذي يعمل بنظام رائع متبعاً سلم المسؤوليات والتخصصات وباذلاً خدماته للكائن الحي يجعل من المستحيل إيضاحه بالمصادفات. فهل نستطيع أن نعزو هذا النظام إلى قيام الذرات بالتفاهم بعضها مع البعض الآخر؟

ونحن نرى أنه حتى الحاسوب الالي (الكومبيوتر) لا يعمل إلا بعد تشفير برنامج خاص فيه من قبل المبرمج. فهل هناك أي احتمال لأن تقوم الأجزاء الصغيرة في هذا الجهاز بكل هذه الأعمال الخارقة تلقائياً ومن نفسها؟ وهل من الممكن الدفاع عن هذا باسم العلم؟. ولو فرضنا المستحيل وقلنا بإمكانية

حدوث هذا في مستوى المادة فكيف نستطيع ذكر الشيء نفسه في الأجساد المعقدة والمركبة للأحياء، وكيف نستطيع تجاوز المستحيلات العديدة في هـــذا الصدد؟

إن العلم يفتح في الحقيقة أبواب الإيمان ويأخذ بيد الإنسان نحو الله. أما العلم الذي لم يستكمل أدواته و لم يصل بعد إلى كنهه، والذي طبع بطـــابع الغرور وبزاوية نظر خاطئة، واتحد مع الظلم وتلبس به فإنه يقود إلى الكفر. إن الذين لم يدركوا بعدُ ماهية العلم والذين يظهرون على مسرح العلم من بابه الخلفي، والذين تأخذهم نشوة وغرور العلم ويحسبون أنهم كـــسبوا في السباق، يتجولون وقد أخذتهم سكرة النصر وحولتهم إلى تمثال للغـــرور، لا يدركون بأنهم في جهل مكعب -كما قال ضياء كوك آلـــب- لأنهـــم لا يعلمون أنهم لا يعلمون، ويحسبون أنهم يعلمون.

الظهور التلقائي

عندما قام "شمس الدين كون آلتاي" بنقد هيجل عن حق في هذا الموضوع في كتابه "الفلسفة العليا" قال: (يتكلم هيجل عن عشرين جيل من الأحياء المتعاقبة في قاع البحر. ويورد هذا المسكين أسماءها وكأنه كان يعيش معها، ويعطي رأيه حول أشكالها).

ونظراً لعجز المنظرين لنظرية التطور في تفسير كيفية ظهور الحياة نراهم يتشبثون بالمصادفة وبالظهور التلقائي. فهم يزعمون أن الجو البدائي للأرض كان يحتوي على كميات كبيرة من الأمونيا والميثان وبخار الماء والهيدروجين، وأن هذا الخليط تفاعل مع بعضه البعض بواسطة الطاقة المنبعثة عشوائياً من البروق ومن الانفجارات البركانية، ونتجت بعض أنواع من الحوامض الأمينية عن هذه التفاعلات. وبمرور الزمن تحولت هذه الأحماض الأمينية إلى بروتينات، ثم سالت جزيئات البروتينات هذه إلى البحار. ومن ثم ظهرت الأحياء الأولى في المستنقعات بشكل ديدان بدائية.

تجارب ميللر

استعمل أنصار التطور تجارب ميللر وكأنها دليل على حدوث مثل هذه التفاعلات. بينما كل ما فعله ميللر كان عبارة عن قيام إنسان يملك علماً وشعوراً وإرادةً بتجربة للحصول على خلية حية بمساعدة أحماض أمينية قام باختيارها. كان من الضروري في هذه التجارب دوام التزويد بالطاقة المسيطر عليها لكي يظهر كائن حي (أي خلية حية) أول، ثم لكي يستمر في الحياة. والشيء الأهم هنا هو الحفاظ على الأحماض الأمينية المتشكلة من التحلل، وجمعها معاً ضمن مصيدة باردة وضعت خصوصاً لهذا الغرض.

فإن كانت هناك قابلية لدى الأحماض الأمينية للانقلاب إلى الحياة -علماً بأن الله تعالى وحده الذي يهب الاستعداد للحياة- فإن الإنسان الذي يملك المعرفة والإرادة يستطيع تحريك هذا الاستعداد وتنشيطه. ولكن الزعم بأن كل هذا يحصل نتيجة المصادفات ونتيجة الظهور التلقائي يعدّ بلا شك استهزاءً بالعقل وبالإرادة.

التغذي الذاتي والخارجي

يزعم التطوريون أن الأحياء التي ظهرت إلى الوجود تلقائياً أو عن طريق المصادفات تستطيع تأمين الطاقة التي تحتاج إليها لإدامة حياتها من الشمس أو من التفاعلات الكيمائية. ثم إن الأميبيا كما تستطيع التغذي من بيئتها، تستطيع كذلك صنع غذائها بنفسها. ويحاول التطوريون تقوية زعمهم هذا بفرضية "الأوتوروف" أي التغذي الذاتي، أو "الهيتوتروف" أي التغذي من البيئة الخارجية. أما فرضية التغذي الذاتي فلم تلق قبولاً في أيامنا الحالية. والتفاعلات الكيمياوية التي تنتج الغذاء "كالتمثيل الضوئي" أمر معقد غاية التعقيد. وعندما ندقق التفاعلات المعقدة التي تقوم بها النباتات الخضراء التي تملك قابلية التمثيل الضوئي، وكذلك الانزيمات التي تلعب دوراً مهماً في هذه التفاعلات، نعرف من يحتاج لمن، وإلى أين يجب أن يسير كل شيء من هذه الأشياء. أي ندرك أن كل شيء يسير وفق منهج دقيق ومتكامل.

لقد وقع التطوريون في ورطة كبيرة عندما ادّعوا بأن مثل هذا النظام الدقيق والرائع ظهر فجأة إلى الوجود عند بداية ظهور الحياة على وجه الأرض، لأن مثل هذا الادّعاء يناقض ادّعاء التطور. لأن مثل هذه التفاعلات المعقدة والمتشابكة لا يمكن أن تصدر إلا من قبل آلية معقدة. ومن المفروض أن تظهر هذه الآلية الدقيقة والمعقدة في الظروف الأولية لظهور الحياة لكي يحصل الكائن الحي على الغذاء الضروري له، بينما يتناقض هذا تماماً مع أساس الداروينية. لأن الظهور الفجائي لآلية معقدة جداً مستحيل. لأن

التكامل أيْ النظرية التطورية تقضي بظهور هذه الآليـــة بـــشكل تـــدريجي وبطيء. والأبحاث التي أجريت أبانت -دع عنك ظهور النباتات المالكة لآلية معقدة مثل التمثيل الضوئي- بأن مئات الآلاف مـــن أنـــواع الحيوانـــات الموجودة حالياً كانت موجودة في أكثر العهود قدماً التي اســـتطاعت هـــذه الأبحاث التوغل فيها، و لم يشاهد فيها أي حادثة تطوريـــة. أي أن التطـــور يحتاج إلى زمن طويل لا نستطيع تصور طوله. لذا لم يكن عمر الأرض كافياً لظهور الحيوانات والنباتات وتطورهما حتى الوصول إلى ظهور الآليـــة الـــتي تقوم بصنع الغذاء بنفسها.

أما حسب فرضية "هتروتروف" فإن الغذاء غير جاهز للكائن الحي، ولا يستطيع الكائن الحي صنعه بنفسه، بل يأخذه من الخارج. بينما يحتاج هـــذا أيضاً -مثله في هذا مثل الأوتوروف- إلى آلية تستطيع إنتـــاج تفـــاعلات معقدة. لأن الغذاء الذي سيأخذه أيّ حي من الأحياء يجب أن يكون مـــادة عضوية صنعت من قبل حي آخر. لذا كان كل حي -ولنقل الحـــي الأوّل الذي ظهر على وجه الأرض- يحتاج إلى وجود حي آخر قبله. وهذا يؤدي إلى تسلسل، أي إلى سلسلة متراجعة إلى الخلف على الدوام مما يقتضي أزلية الأحياء. وهذا أمر باطل ومستحيل.

قوانين الوجود

هذا بالإضافة إلى أننا نشاهد في ظهور جميع الأشياء في الكون سواءً في عالم الأحياء أو في عالم الجماد شعوراً وعلماً وترجيحاً، أي إرادة. وبينما نرى عبيد الطبيعة والعلماء الماديين يعزون هذا الوجود إلى الظهور التلقائي أو إلى المصادفات العمياء نراهم من جهة أخرى يؤمنون بالقوانين. بينما تقوم القوانين بردّ الظهور التلقائي وردّ المصادفة. إذن فالوجود لابد أن يكون أثراً لصاحب علم. ولا تملك المادة الخالية من الحياة ومن الشعور قوانين شاملة للكون وشاملة للحياة وللشعور. إن وجود القوانين يقتضي وجود واضع لهذه القوانين. إن عدّ القوانين -دون أخذ واضع هذه القوانين بنظر الاعتبار- أساساً للوجود يشبه المثال الآتي الذي ضربه أحد المفكرين المرموقين:

"دخل رجل أحمق إلى قصر كبير، فرأى أن هذا القصر المنيف قد زين وأثث بأفخم أثاث وأجمله، فهناك الطنف والمناضد والكراسي والفرش والمزهريات والورود واللوحات الفنية والمدافئ، وما يحتاجه المطبخ من أشياء وأغراض... والخلاصة وجد كل شيء في مكانه الصحيح. وبينما كان هذا الرجل الأحمق يتجول في أرجاء القصر ويفكر بمن قام بكل هذا التأثيث والتزيين، ولكنه لم يجد أحداً، وإذا به يرى كتاباً فوق منضدة. كان الكتاب يحتوي على برنامج تأثيث القصر. قال الأحمق: لقد وجدت ما كنت أبحث عنه... هذا الكتاب هو الذي قام بتأثيث هذا القصر."

وهل هناك من أحد لا يطلق صفة الجنون على شخص يسند تأثيث قصر

من القصور إلى كتاب تعريف بالأثاث، أو يسند صنع أي ماكنة أو جهاز إلى نشرة تعريف الجهاز أو الماكنة؟

وبينما هذه هي الحقيقة بأوضح شكل، فإنني لا أفهم على الإطلاق كيف يمكن لشخص تخصص بعد التخرج من الجامعة في الفيزياء أو في البيولوجيا (علم الأحياء) أو في الكيمياء، أو في الكيمياء الحيوية وأصبح استاذاً أن يسند هذا الكون الرائع وما يحتويه من زينة، وما يبدو فيه من تصميم دقيق، ووجود كل شيء في المكان والموقع الصحيح، وما يحتويه من تناسق وتناغم أصيل لا يفسد ولا يهتز ولا يحتاج لأي تعمير أو اصلاح... أن يسند كل هذه الروعة إلى المادة الخالية من الحياة ومن العلم ومن الشعور والإرادة، أو إلى بعض المفاهيم التي يطلق عليها اسم القوانين التي تم اكتشافها عند دراسة هذا الوجود وكيفية ظهوره وكيفية عمله. أو أن يسنده إلى المصادفات التي هي مفهوم مجرد، أو يعزوه إلى الظهور التلقائي.